نظريات إميل دوركايم في التنشئة والإدماج والتكيف

تقترن هذه النظريات بمجموعة من المحددات الأساسية:

- انتشار المدرسة العمومية والتعميم التدريجي للتربية والتعليم بالمجتمع الفرنسي خلال النص الثاني من القرن 19 وبداية القرن 20.
- مراهنة فرنسا على تكوين جديد يستجيب لحاجيات المجتمع الصناعي الناشئ ذو قيم ثقافية تستوعب متطلبات المرحلة.
- اكتساب المنظومة التربوية والتعليمية طابعا تنظيميا يتجاوز ويصلح الماضي، ويستوعب تطلعات المجتمع الفرنسي الحديث، وذلك من خلال إنتاج قيم، ومعارف، وضوابط اجتماعية، وأخلاقية.

نظرية التنشئة والإدماج والتكيف:

تعد هذه النظرية استمرارا للوضعية التي تحدثنا عنها سلفا، وكذا تدشينا للوظيفة التي تبتغي التوازن والاستقرار الاجتماعي، وهي مكون أساسي من النسق السوسيولوجي البديل للكنيسة، والذي يواكب تطورات وحاجيات المجتمع الفرنسي في تغيره وتحوله ثقافيا، واجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا.

يعرف دوركايم التربية بأنها فعل التوجيه والتأطير والمواكبة الذي يمارس على الأطفال من قبل الكبار داخل المدرسة، وتتوخى هذه العملية تحويل الطفل من كائن فردي إلى كائن اجتماعي مستوعبا القيم وثقافة المجتمع ونزعاته الأخلاقية والإنسانية، وفق منهجية دقيقة وبشكل إلزامي من خلال المؤسسات التعليمية التي يكفلها المجتمع ويقر بمشروعيتها.

يبتغي دوركايم تحقيق التوازن والاستقرار الاجتماعيين من خلال تكييف وإدماج الأفراد والجماعات مع النظام الاجتماعي، وبالتالي تكون الممارسة التربوية ظاهرة اجتماعية مستقلة عن وعي الأفراد وقابلة للدراسة العلمية.

نظرية إعادة الإنتاج (بيير بورديو):

جاءت هذه النظرية في سياق اجتماعي وسياسي واقتصادي من قبيل؛ إفراز المنظومة التربوية لمجموعة من الاختلالات أبرزها:

- عدم تكافؤ الفرص الاجتماعية في التربية والتكوين.
- الإقصاء والانتقاء ذو البعد الاجتماعي في المدرسة.
- انشطار القيم الثقافية داخل المجتمعات الغربية والمجتمع الفرنسي.
- ظهور تشكيلات اجتماعية.

يمكن عرض نظرية إعادة الإنتاج على النحو التالي:

- كشف كل من بورديو وباسرون في كتابيهما الورثة سنة 1964، وإعادة الإنتاج سنة 1970 عن هيمنة النخب النافذة على النظام التربوي، وأنها تعيد إنتاج النخب الاجتماعية، ليكون عدم تكافئ الفرص هدفا ومبتغا لهذه النخب.

وتركز هذه النظرية على:

- مفهوم الرأسمال الثقافي الذي تشكله مجموع الموارد والضوابط الثقافية التي تتجلى في الممتلكات والتوجيهات الثقافية والشواهد الجامعية والمدرسة والعلاقات بين المدرسة والثقافة.
- اختلاف الرأسمال الثقافي باختلاف الأوساط الاجتماعية، وترتبط بالرأسمال الاقتصادي والاجتماعي.
- الهابتوس: وهو نظام من التمثلات الذي يشكل مرجعا بالنسبة للأفراد والجماعات، من شأنه توجيه الممارسات والسلوكيات والتطلعات والتحكم فيها، إنه بذلك القدرة المكتسبة اجتماعيا داخل الأسرة والمدرسة والوجهة لطرق التفكير والتصرف وبناء أسلوب العيش والتفاعل مع الغير.
- العنف الرمزي: وهو الآلية الإيديولوجية والثقافية التي تستطيع بواسطتها المدرسة ممارسة وظيفة إعادة الإنتاج، فالفئات المهيمنة اجتماعيا تتحكم في الفعل البيداغوجي، وتحقق هذه العملية أهدافها عند حصولها على المشروعية الاجتماعية من قبل الذين ينعكس عليهم الفعل التربوي.

نظرية المضامين التربوية

ظهرت هذه النظرية في سبعينيات القرن العشرين، وترتكز بالأساس على الأساليب والمرجعيات الموجهة لاختيار المضامين التربوية ونشرها في أوساط المجتمع المدرسي عبر أدوات ومناهج مهيئة لذلك.

يمكن اعتبارها قراءة نقدية للمنهاج التربوي من خلال تمييزها بين المعرفة العلمية والمعرفة المدرسية، كون هذه الأخيرة تخص مجتمعا ما ثقافيا واجتماعيا، إضافة إلى خضوعها لشروط التجزيء وإعادة البناء والمراجعة المستمرة، وهو ما يجعلها مرتهنة بالاجتماعي والإيديولوجي وتتغير بتغيرهما.

- ارتباط المعرفة بسلطة تستثمر أدوات التوجيه الثقافي والإيديولوجي لصالحها سواء في الاشتغال أو التفاعل أو الانتظارات.
- المعارف المدرسية هي باستمرار ذات خاصية معيارية: ما ينبغي تدريسه وما ينبغي تحصيله وما ينبغي تعلمه.
- تطور تحليل المضامين التربوية.

يمكن القول بأن النظريات تتابع تحول المنظومة التربوية ثقافيا واجتماعيا ومعرفيا، وترسيخ أهمية علم الاجتماع في تحليل وتتبع وظائف المدرسة وأدوارها وتمكيننا من قراءة الواقع التربوي بالرغم من الخصوصية التي يمكن تحتضنها الوقائع التربوية.